

الإجهاض، الأخطاء الطبية، الأدوية الفاسدة.. كيف نجعلها مادة إعلامية؟

بتول خليل

"هل يجب أن نشرعن الإجهاض في حالات الاغتصاب؟"، "هل اختيار نوع الجنس مقبول اجتماعياً؟"، "هل يجب على المسيحيين أن يخضعوا لعمليات زرع أعضاء؟" وأين هي وسائل الإعلام اليوم من نقل المعلومات والوقائع المتعلقة بهذه القضايا المسماة بالأخلاقيات الإحيائية. لمناقشة ذلك، اجتمع أمس عدد من العاملين في مجالات الاتصالات والصحافة ووسائل الإعلام في لبنان والعالم العربي في مؤتمر "الإعلام والأخلاقيات الإحيائية"، وهو المؤتمر الإقليمي الرابع الذي نظمه "برنامج سليم الحص للأخلاقيات الإحيائية والاحتراف" في "الجامعة الأميركية في بيروت" وبرعاية وزارة الإعلام تعرف مسؤولة الأخلاقيات الإحيائية الطبية في "الجامعة الأميركية في بيروت" تاليا عراوي، الأخلاقيات الإحيائية، على أنها "حقل دراسة معني بالأخلاق والآثار الفلسفية لبعض الإجراءات البيولوجية والطبية، إضافة إلى التكنولوجيات والعلاجات مثل زرع الأعضاء، الهندسة الجينية، والعناية بالأمراض المزمنة". وفي جلسة بعنوان "لماذا الإعلام والأخلاقيات الإحيائية؟"، تحدثت عراوي عن أن "وسائل الإعلام اليوم باتت تؤثر على حياة المشاهدين، القراء، المستمعين، وحتى الدول، وهي الجهة الأقوى على وجه الأرض، ولكن يجب أن تترافق هذه القوة مع شعور بالمسؤولية والمساءلة إلا أن وسائل الإعلام في عالمنا العربي تخشى الحدوث عن الأخلاقيات الإحيائية، وهي تظن أن ذلك لا يؤثر في حياة الناس. فتنتم تغطية المسائل المتعلقة بالأخلاقيات الإحيائية في وسائل الإعلام العربية واللبنانية كالأخطاء الطبية، الأدوية غير المشروعة، والفضائح الطبية، بطريقة عشوائية ومن دون متابعة للتحقيقات والقصص التي تعرضها أو تنشرها."

وبينما تحتل الأخلاقيات الإحيائية وإشكالياتها حيزاً واسعاً من النقاشات في وسائل الإعلام الغربية، وبين الجمهور الأميركي والأوروبي، وفي المجتمعات المهنية والأكاديمية الغربية، خصوصاً بعد ظهور التكنولوجيا الرقمية والإعلام الجديد، تبدو هذه النقاشات شبه غائبة في وسائل الإعلام العربية واللبنانية وتتساءل عراوي "لماذا لا تقوم وسائل الإعلام العربية بإطلاع الجمهور على الاستفتاءات الطبية العامة؟ وهل تتحمل وسائل الإعلام اللبنانية المسؤولية تجاه جمهورها، خصوصاً في ما يتعلق بالعرض الكثيف لإعلانات مشروبات الطاقة؟"

ويقول رئيس دائرة علم الاجتماع والإنسان والدراسات الإعلامية في الجامعة الأميركية في بيروت نبيل دجاني، إن "المواطن يجب أن يكون محور اهتمام وسائل الإعلام، إلا أن وسائل الإعلام اللبنانية تفتقر للدقة والمساواة والنزاهة في التعامل مع قضايا المواطن، فهي تميل للقصص المثيرة، خصوصاً في ظل تضارب المصالح بين وسائل الإعلام اللبنانية". وتحدث دجاني عن التجربة اللبنانية في مجال الأخلاقيات والإعلام، التي أظهرت "الغياب الواضح لموضوع الأخلاقيات في مختلف وسائل الإعلام اللبنانية، التي فشلت بالقيام بدورها بالتنمية الاجتماعية وإرساء توازن بين مصالحها الخاصة ومصالح المواطن العامة" لكن هل تستطيع وسائل الإعلام أن تؤدي دوراً أفضل؟ وما هي الدروس المكتسبة نتيجة لتغطية قضايا رئيسية في الأخلاقيات الإحيائية والنزاعات حولها؟ يرى مدير مركز الأخلاقيات الإحيائية في جامعة نيويورك آرثور كابلان أنه "لا بد لخبراء الأخلاقيات الإحيائية من التفاوض والعمل مع أشخاص في مجال الإعلانات، وحث وسائل الإعلام على تحقيق هدف لتوعية الناس حول قضايا الأخلاقيات الإحيائية ومنحهم المعلومات الدقيقة حولها كذلك فإن التعامل مع معلومات عامة حول موضوعات تتعلق مثلاً بالتلقيح وزرع الخلايا الجذعية ليس بالأمر السهل، وهو يحتاج لمتابعة وبناء خلفية واسعة للتعاظم مع هذا لقضايا الطبية في الإعلام".

كما حذر آرثور، صاحب الوجه المعروف في وسائل الإعلام الأميركية، من العلاجات والنصائح الطبية التي تقدم عبر وسائل الإعلام والانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، "فهي غير دقيقة وغير مضمونة النجاح". وهناك الكثير من الأمثلة، كالمجموعات التي تزعم أنها تملك العلاج لحل مشكلة تجميلية عبر زرع الخلايا الجذعية. لذلك نحن بحاجة إلى وسائل الإعلام لترشد الناس وتحذرهم من الوقوع في فخ هذه المجموعات وترشدهم إلى المواقع الإلكترونية والبرامج التي تقدم معلومات طبية وصحية دقيقة كما تتمتع بمصداقية عالية. يبقى أن الأخلاقيات الإحيائية أظهرت عبر التاريخ أنها استطاعت إحداث فرق كبير في حياة الكثير من الناس، وأنها ليست مجرد كلام ونظريات